الكرسي الرسولي

الزّيارة الرّسوليّة إلى الأوروغواي والأرجنتين والبيرو

6-17 تشرين الثّاني/نوفمبر 2026

عِظة قداسة البابا لاوُن الرّابع عشر

في القدّاس الإلهيّ

في القاعدة الجوّيّة (Las Palmas) – ليما (Lima)

الاثنين 16 تشرين الثّاني/نوفمبر 2026

[Multimedia]

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء،

يسوع القائم من بين الأموات حاضر اليوم هنا معنا، بحسب وعده لنا: "هاءَنذا معَكم طَوالَ الأيّامِ إلى نِهايةِ العالَم" (متّى 28، 20). وَعَدَ تلاميذه بذلك قبل أن يصعد إلى الآب، ونحن اختبرناه من جديد في هذه الأيّام. شكرًا لكم على حُسن ضيافتكم! باجتماعكم هكذا وبأعداد كبيرة وفرح، حول البابا، شهدتم أنّ الرّبّ يسوع حيٌّ دائمًا في كنيسته ويجمعها. لتستمرّ هذ الشّهادة في أن يتردّد صداها، وتُعطي ثمارًا صالحة في جميع أنحاء البيرو!

في هذا العالم الذي جرحته الغطرسة، لا تزال كلمة يسوع اليوم تربّينا على نوع جديد من القوّة. في الواقع، يقول لنا: "إِنِّي أُوليتُ كُلّ سُلطانٍ في السّماءِ والأَرض" (متّى 28، 18). إنّه سلطان المحبّة المصلوبة! "فاذهَبوا وتَلمِذوا جَميعَ الأُمَم، وعَمِّدوهم بِاسْمِ الآبِ والابْنِ والرُّوحِ القُدُس" (متّى 28، 19). وصيّة الرّبّ يسوع الواحد الحقّ، التي أصغينا إليها في إعلان الإنجيل، تساعدنا لنفهم جوهر رسالة الكنيسة: الاستمرار في عمل يسوع المسيح، بقوّته التي تختلف اختلافًا كاملًا عن قوى هذا العالم.

نفّذ التّلاميذ الأوّلون هذه الوصيّة الرّسوليّة، ومسيحيّون كثيرون على مرّ التاريخ. لهذا السّبب، نحن مجتمعون اليوم في هذا الاحتفال: نِلنا سرّ المعموديّة، وصرنا تلاميذ ليسوع المسيح، ونتعلّم يومًا بعد يوم أن نعمل بما أوصانا به. بعد ثلاثمائة سنة على إعلان قداسة القدّيس توريبيو دي موغروفيخو (Toribio de Mogrovejo)، رئيس أساقفة ليما الثّاني، نشكر الله، نحن أبناء البيرو، على عطيّة الإيمان المسيحيّ، التي رسّختها شهادته الرّسوليّة بعمق في شعبنا.

كما حدث مع التّلاميذ الأوّلين عند بحيرة الجليل، تلقّى هو أيضًا دعوة مميّزة من يسوع، دعوة جاءته على حين غرّة. على الرّغم من أنّه كان علمانيًّا، وكانت مسيرته المهنيّة في مجال القانون تشهد صعودًا متواصلًا، دُعي توريبيو إلى أن يكون راعيًا للكنيسة. ومنذ ذلك الحين، انطلق في مسيرته، يتبع الرّبّ يسوع، مثل الرّسل. عَبَرَ البلد سيرًا على الأقدام، وقطع مئات ومئات الكيلومترات، وهو مدرك أنّه، عندما كان يذهب للقاء الشّعوب الأصليّة، إنّما كان يتبع يسوع نفسه. لذلك، كان يسعى إلى أن يجعل يسوع حاضرًا في وسط تلك الجماعات، فيما كان لا يزال يتعلّم لغتها ويتفهّم معتقداتها، وكلّ ذلك بهدف التّعرّف إلى عمل الرّوح القدس الصّامت.

وعندما وصل إلى ليما، وقد أغنته الرّحلة الطّويلة، تميّز في خدمته الأسقفيّة بخدمة الكلمة، التي كرّس لها عناية خاصّة، وبقناعة راسخة بأنّ الوداعة هي السّبيل الوحيد لإعلان "الدِّين الحقّ"، كما علّم بارتولومي دي لاس كاساس (Bartolomé de Las Casas). في الرّسالة الأولى إلى أهل قورنتس، سمعنا اليوم القدّيس بولس يقول: "فلْيَعُدّنا النّاسُ خَدَمًا لِلمسيح ووُكَلاءَ أسرار الله" (1 قورنتس 4، 1). أمّا القدّيس توريبيو، فتكلّم على خدمته وقال: "طالما أنا في هذه المدينة، أقوم بالأمر نفسه وأعظهم بلغتهم، للإسبان وللآخرين الذين يفهمونني، وأعلن الإنجيل" [1]. وأصرّ حتّى يتعلّم الكهنة لغة الكيتشوا، وجاهد من أجل سيامة أبناء الشّعوب الأصليّة والمختلطة، الذين كان كثيرون من رجال الدِّين ينظرون إليهم بازدراء.

أراد توريبيو أن يكون أبناء الشّعوب الأصليّة أنفسهم هم الذين يبشّرون أقاربهم وأصدقاءهم وجيرانهم. في الواقع، أراد أن يكون التّخلّي المنشود عن المعتقدات الموروثة عن الأجداد نابعًا من إرادتهم الحرّة، من دون أيّ إكراه. ويُظهر ذلك تفانيه الذي لم يعرف الكلل في القيام بالزّيارات الرّعويّة، بهدف التعرّف إلى المؤمنين ومساعدتهم، وتصويب مسارهم عند الضّرورة، لكي يعلّمهم كلمة الله ويخدم الأسرار المقدّسة. كان يمنح سرّ التّثبيت ويعظ بلا كلل. لم يكن يقبل من أحد، ولو أصغر هديّة. سبّبت له تلك الزّيارات معارضات وافتراءات، حتّى من قِبَل السّلطات، مع ذلك، سمحت له بأن يكون مُرسَلًا ومبشّرًا وأبًا وراعيًا وأن يُظهر ذلك، من دون أيّ اهتمام آخر سوى إيصال الحياة الإلهيّة التي يهبها الرّاعي الصّالح.

كتب الرّسول بولس: "دَيّانِي هوَ الرّبّ" (1 قورنتس 4، 4). ثمّ طلب مباشرةً: "فلا تَدينوا أَحَدًا قَبْلَ الأَوان، قَبلَ أَن يَأتِيَ الرّبّ، فهو الّذي يُنيرُ خَفايا الظُّلُمات ويَكشِفُ عن نِيّاتِ القُلوب، وعِندَئِذٍ يَنالُ كُلٌّ واحِدٍ مِنَ اللهِ ما يَعودُ علَيه مِنَ الثّناء" (1 قورنتس 4، 5). إنّه كلام يلهمنا نحن أيضًا حرّيّة روحيّة كبيرة، وأسلوب إصغاء صابر.

الفقراء هم الوحيدون الذين لا يستطيعون الانتظار. لذلك، لم يستثنِ القدّيس توريبيو أحدًا، بل استقبل الجميع، واعتنى بصورة خاصّة بالأخيرين. كَتَبَ أحد كاتبي سيرته الذّاتيّة: "في رعيّته، أبناء الشّعوب الأصليّة هم الفئة التي تحظى بأكبر قدر من عنايته، وهم يبادلونَه المحبّة. هم يحبّونه ويكنّون له المودّة، كما لو كان أبًا لكلّ واحد منهم" [2]. كان يوزّع على الفقراء كلّ ما كان يُخصّص له تقريبًا، وكان يقدّمه لتأسيس مستشفيات لأبناء الشّعوب الأصليّة. كان يقول لهم والدّموع في عينيه: "أيّها الفقير الذي تُغنيني! أيّها العريان الذي تكسوني! أيّها الجائع الذي تُشبعني!". وبعد كلّ زيارة رعويّة، كان يحمل معه ملفّات تضمّ ملاحظات وشكاوى وتشكّيات تتعلّق بأوضاع أبناء الشّعوب الأصليّة، وكان يوجّهها إلى الملك، بهدف وضع حدّ للظلم.

أيّها الإخوة الأعزّاء، في ختام زيارتي الرّسوليّة، أودّ أنا أيضًا أن أثبّتكم في الإيمان والمحبّة، وأن أؤكّد لكم أنّني سأحملكم معي دائمًا. نعم، إنّ شعب البيرو هو أيضًا شعبي! وأينما كنّا، إن فتحنا قلوبنا لله، يمكننا أن نعيش تلك العلاقة الأساسيّة التي تجعل صورة الله تنعكس في كلّ إنسان. هكذا، عندما يُشفى قلبنا وترفعه النّعمة من خلال علاقتنا بالثّالوث الأقدس، نستطيع أن نفتح أنفسنا على كلّ أخ وأخت، فنشفيهم ونحبّهم ونخدمهم بصلاح الرّبّ يسوع.

القدّيس توريبيو، بمثاله، يدعونا إلى أن نقدّس علاقاتنا في الكنيسة، وحياته تقترح علينا أن نعترف بأنفسنا أعضاء أحياء في جسد واحد. لقد فتح قلبه للوَحدة والشّركة الكنسيّة، وعاش الكنيسة كوَحدة وشركة إرساليّة: هذه الوَحدة والشّركة التي تنبع من كونها مسكنًا حقيقيًّا للثالوث الأقدس، ولذلك فهي تقدّر الاختلافات والحساسيّات والأفكار المتنوّعة، في وَحدة الإيمان. هذه الوَحدة والشّركة تتجلّى وتتوطّد في الإفخارستيّا، سرّ الوَحدة، التي كانت بالنّسبة إلى القدّيس

أيّها الإخوة والأخوات، كان القدّيس توريبيو دي موغروفيخو (Toribio de Mogrovejo) صانعًا لحضارة المحبّة، وواجه بُناة برج بابل الذين كانوا حاضرين في عصره. من الشّخصيّات المهمّة لهذه الحضارة أيضًا القدّيسون المعاصرون: روزا دي ليما (Rosa de Lima)، ومارتين دي بورّيس (Martín de Porres)، وفرنسيسكو سولانو (Francisco Solano) وغيرهم. وإذ نتأمّل في سيرتهم، لنكتشف من جديد وبشكر عطيّة أن نكون كنيسة يسوع المسيح، وكلّما احتفلنا بالإفخارستيّا، لنرجع إلى وعده: "هاءَنذا معَكم طَوالَ الأَيّامِ إلى نِهايةِ العالَم" (متّى 28، 20).

أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء، زيارتي وصلت إلى نهايتها، لكنّ زمن الرّسالة مستمرّ! لنتذكّر في ختام كلّ قدّاس أنّنا مُرسَلون لكي نبشّر. لذلك، اذهبوا وأعلنوا الله الحقّ! اشهدوا بما رأيتم وسمعتم! لا تدعوا أحدًا يبقى من دون أن يعرف هذه البشرى السّارّة! لتكن رسالتنا، بشفاعة سيّدتنا مريم العذراء والقدّيسين، مُفعمة دائمًا بالإيمان بحضور المسيح القائم من بين الأموات، الذي يمنحنا سلامه ويدعونا إلى أن نحمله إلى الجميع. آمين.

---

[1] "الرّأي الذي أبداه صاحب السّيادة المطران بشأن الهنود في سان لازارو، والذي أُرسل إلى المجلس الملكيّ لشؤون الهند"، 14 نيسان/أبريل 1595، مقتبس من: C. García Irigoyen، *Santo Toribio*، المجلّد الأوّل، ص. 97.

[2] ف. رودريغيز فالنسيا، *القدّيس توريبيو دي موغروفيجو. المنظم والرّسول في أمريكا الجنوبيّة*، المجلّد الثّاني، 3.

****

2026 ناكيتافلا ةرضاح – ةظوفحم قوقحلا عيمج ©

Copyright © Dicastero per la Comunicazione - Libreria Editrice Vaticana